السنة الخامسة والعشرون

وفيها عزل عثمانُ ولاةَ عمر عن الأمصار من غير جِنايةٍ ولا خِيانةٍ، وولّى مُعاويةَ حمص وقِنسرين والعواصم وفلسطين، فجمع له عثمان الشامَ بأسرِه في هذه السنة مُضافاً إلى دمشق.

وفيها نَقض أهلُ الإسكندرية العهد، فسار إليهم عمرو بن العاص فقاتلهم، فعادوا إلى الصُّلح.

وفيها عزل عثمان عمرو بنَ العاصِ عن مصر وولّاها عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، وأمره بغزو إفريقية، وجهَّز معه عشرين ألفاً، وهذا ثالث أمرٍ نُقِمَ على عثمان، لأن عبد الله بن سعدٍ هو الذي كان يكتب لرسولِ الله ﷺ وارتدّ، وأباح رسولُ الله دَمَهُ، وقد ذكرناه.

وكان معه عبد الله بن الزّبير في غزاة إفريقية، قال عبد الله بن الزبير: فهجم علينا جرجير؛ في مئة ألف وعشرين ألفاً، فاختلطوا بنا في كلِّ مكان، وسُقط في أيدي المسلمين، واختلف الناسُ على عبد الله بن سعد، فدخل سُرْداقَه، ورأيتُ غُرّةً من جرجير بَصرتُ به خلف عساكره على بِرذَوْن أَشهب، معه جاريتان تُظلان عليه بريش الطَّواويس، وبينه وبين جُنده أرضٌ بيضاء ليس فيها أحد.

فجِئتُ إلى عبد الله بن سعد أطلبُه في فُسْطاطه، فمنعني الحاجبُ، فدُرتُ من خلف الفُسطاط، فدخلتُ عليه فقال: ما الذي أدخَلك عليَّ يا ابن الزُّبير؟ فقلتُ: قد رأيتُ عَوْرةً من جرجير، فاندُب معي الناس.

فخرج فقال: أيها الناس، انتدبوا مع ابن الزُّبير، فاخترتُ ثلاثين فارساً، وقلتُ للناس: اثبتوا[1] على مَصافّكم، وحملتُ في الوَجْه الذي رأيتُ فيه جرجيراً، فقلتُ لأصحابي: احموا ظَهري، فوالله ما نَشبتُ أن خَرقتُ الصّفوفَ إليه، وما يَحسِب هو

(١) في (خ) و(ع): اركبوا.

وأصحابُه إلا أني رسولٌ إليه، حتى دنوتُ منه، فعرف الشرَّ، فثنى بِرِذَونَه مُوَلِّياً، فأدركتُه فطعنتُه فسقط، وسقطت الجاريتان عليه، وأَهْوَيْتُ إليه مُبادراً، فدَفَفْتُ عليه بالسيف حتى قتلتُه، واحتَزَزْتُ رأسَه، فنصبتُه في رُمْحي، وقطعتُ يدَ إحدى الجاريتين، وكبَّرتُ، وأَقبلتُ وأنا أكبِّر، فكبَّر المسلمون، وارفَضَّ العدوُّ من كلِّ وَجْه، ومنح الله المسلمين أكتافَهم.

فلما أراد عبد الله بن سعد [أن يوجّه] بشيراً إلى عثمان قال: أنت أولى بذلك، فانطلقْ إلى أمير المؤمنين فأخبرْه الخبر، فقدمتُ عليه فأخبرتُه، فقال: اخرُجْ فاصعد المنبر وأخبر الناس، ففعلتُ وقلتُ: إن أبي الزبير قال: سمعتُ أبا بكر الصديق يقول: مَن أراد أن يتزوَّج امرأةً فلينظر إلى أبيها وأخيها، فإنما تأتيه بأحدهما.

وجاءت غنائمُ أفريقية، فدفع عثمان رضوان الله عليه الخُمسَ إلى مروان بن الحكم، وكان خمس مئة ألف دينار، فضجَّ المسلمون فقالوا: تُعطي ابن لعينِ رسول الله ﷺ وطريدَه أموالَ المسلمين، فكان هذا رابع أمر أُخذ عليه.

ولما عَزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص عن مصر ووَلّاها عبد الله بن سعد؛ كان ذلك بَدْءُ الشرِّ بين عثمان رضوان الله عليه وعمرو، وقيل: في سنة سبع وعشرين.

وفيها وُلد يزيد بنُ معاوية وعبد الملك بن مروان، وقيل قبل ذلك[1].

وحجَّ بالناسِ في هذه السنة عثمان بن عفان من غير خِلافٍ.

وفيها تُوفّي

ابنُ أُم مَكتوم

واختلفوا في اسمه، فقال ابن سعد: أمَّا أهلُ المدينةِ فيقولون: اسمُه عبد الله، وأما أهلُ العراق وهشام بن محمد بن السَّائب فيقولون: اسمُه عمرو.

وأُمُّه عاتكة، وهي أُمُّ مَكتوم بنت عبد الله.

وكان من الطبقة الأُولى من المهاجرين، قال ابن سعد: أسلم قديماً بمكة، وذهبت

(١) من قوله: وكان معه عبد الله بن الزبير... إلى هنا ليس في (ك).

عيناهُ وهو غُلامٌ، وقَدِمَ المدينةَ مُهاجِراً بعد بَدْرٍ بيسيرٍ، فنزل دار القُرَّاء، وهي دار مَخْرَمةَ بنِ نوفل.

وروى عن الشعبي قال: غزا رسولُ الله ثلاثَ عشرة غزوةً، ما منها غَزوةٌ إلّا استخلف ابنَ أُمِّ مكتوم على المدينةِ، فكان يُصَلِّي بهم وهو أعمى. وكان يُؤذِّن مع بلالٍ بالمدينة.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن سالم بن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن بلالاً يُنادي بليلٍ، فكلوا واشربوا حتى يُنادي ابنُ أُمِّ مَكتوم».

قال: وكان ابن أُمِّ مكتومٍ رجُلاً أعمى لا يُنادي حتى يُقال له: أصبَحْتَ أصبَحْتَ.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن عبدِ الله بن جابر الأنصاري قال[1]: جاء ابنُ أُمّ مكتوم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن مَنزلي شاسِعٌ، وأنا مَكفوف البصرِ، وأنا أسمعُ الأذان، قال: «فإن سمعتَ الأذانَ فأجِبْ ولو زَحْفاً» أو قال: «ولو حَبْواً».

وفي روايةٍ: تَشكّى ابنُ أُمِّ مكتوم قائدَه إلى رسولِ الله ﷺ وقال: بيني وبين المسجدِ شجر، قال: «تَسْمَعُ الأذان؟» قال: نعم، فلم يُرَخِّص له.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن الضحاكِ في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾[عبس: ١ـ٢] قال: كان رسولُ الله ﷺ تصدَّى لرجلٍ من قريشٍ يَدعوه إلى الإسلام، فأقبل عبد الله بنُ أُمِّ مكتوم، فجعل يسألُ رسول الله ﷺ، ورسولُ الله يُعْرِضُ عنه ويَعبسُ في وَجهه، ويُقبِل على الآخر، وكُلَّما سأله عَبس في وَجهه وأعرضَ عنه، فعيَّر الله رسولَه، وأنزل السورة إلى قوله: ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[عبس: ١٠]. فلما[2] نزلت هذه الآيةُ دعاه رسولُ الله فأكرمه، واستَخْلَفه على المدينة مرَّتين.

وقال الواقدي: كان رسولُ الله ﷺ يَستخلفُه على المدينةِ، وكان يَجمعُ بهم، ويَخطبُ إلى جَنْبِ المنبرِ، يَجعلُ المِنبرَ عن يساره.

---

(١) من قوله: وقال ابن سعد بإسناده عن سالم... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). والأخبار السالفة في الطبقات ٤/ ١٩١ـ١٩٤.

(٢) من قوله: وفي رواية تشكى... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). والأخبار في الطبقات ٤/ ١٩٤.

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أبي عبد الرحمن قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: ٩٥]، قال ابنُ أم مكتوم: يا ربِّ، ابتَلَيتَني، فكيف أَصنعُ؟ فنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.

وفي روايةِ ابن سعد: فكان ابنُ أُمِّ مكتوم بعد ذلك يَغزو ويقول: ادفَعوا إليَّ اللواءَ، وأقيموني بين الصَّفَّين.

وفي روايةِ ابن سعدٍ عن البراء: لمّا نزلت هذه الآيةُ دعا رسولُ الله زيداً، وأمره أن يَكتُبها في كَتِفٍ فكتبها، فجاء ابنُ أُمِّ مكتوم فشكا ضَرارته إلى رسولِ الله ﷺ فنزلت: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾[(١)].

وقال ابن سعدٍ بإسناده عن أنسٍ: أن ابنَ أُمِّ مكتوم شهد القادسيَّةَ ومعه الراية، وعليه دِرْعٌ سابغة.

قال الواقدي: ثم رجع إلى المدينةِ فمات بها، ولم يُسْمَعْ له بذِكْرٍ بعد عمر بن الخطّابِ[(٢)].

وقال هشام: كان يقول: ادفعوا إليّ اللواءَ، وأقيموني بين الصفوفِ فإني لا أستطيعُ أن أهربَ، وليس له رواية رضي الله عنه.

فصل وفيها توفي

عُروة بنُ حِزام

ابن مُهاصِر بن مالك، الشاعرُ، العُذْريُّ، أحدُ المُتيَّمين الذين قَتلهم الهوى.

وصاحبتُه عَفراء بنت مالك، وقيل: بنتِ عِقال بن مُهاصِر بن مالك.

فأخبرنا عبد الوهاب بإسناده أن عروةَ بن حِزامٍ وعَفراءَ ابنةَ مالكٍ العُذرِيَّيْن، وهما بطنٌ من عُذْرة، يقال لهم: بنو هند بن حِزام بن ضِنَّة بن [عبد] بُكير بن عُذْرة[(٣)]،

---

(١) من قوله: وفي رواية ابن سعد عن البراء... إلى هنا ليس في (خ) و(ع). وانظر الطبقات ٤/ ١٩٥ـ١٩٦ .

(٢) طبقات ابن سعد ٤/ ١٩٨ . وانظر في ترجمته المعارف ٢٩٠ ، والاستيعاب (١٢٩٩) و(١٤٧٤) و(١٧٥٠)، والمنتظم ٤/ ٣٤٨ ، والتبيين ٤٨٨ ، والسير ١/ ٣٦٠ ، والإصابة ٢/ ٥٢٣ .

(٣) كذا في (ك)، ومصارع العشاق ١/ ٣١٦ ، والمنتظم ٤/ ٣٥٢ ، وذم الهوى ٤٠٧ ، وفي الأغاني ٢٤/ ١٤٥ ، =

ويُقال: إنَّهما نشآ جميعاً، فعَلِقا عِلاقةَ الصِّبا، وكان عُروةُ يتيماً في حِجْرِ عمِّه حتى بَلَغَ، وكان يَسألُ عمَّه يُزوِّجه عَفراء فيُسَوِّفُه، إلى أن خَرَجَت عِيرٌ لأهله إلى الشام؛ وخرج عروةُ معها، ووفَدَ على عمِّه ابنُ عمٍّ له من البلقاءِ يُريدُ الحجَّ، فخطبها فزوَّجه إياها.

وأقبل عروةُ في عِيرِهِ تلك، حتى إذا كان بتَبوك نَظر إلى رِفْقَةٍ مُقبِلةٍ، فيهم امرأةٌ على جمَلٍ أحمرَ، فقال لأصحابِهِ: والله لكأنَّها شمائلُ عَفراء، فقالوا: أما تَتركُ ذِكْرَ عفراء؟ فلما قَربوا وتبيَّنَ الأمر، أبلس قائماً لا يَحيرُ جواباً حتى بَعُد القومُ، فذلك حين يقول: [من الطويل]

وإني لتَعروني لذِكراكِ رَوْعَةٌ ... لها بين جلدي والعِظام دَبيبُ
[وما] هو إلّا أن أَراها فُجاءةً ... فأُبْهَتَ حتى ما أكادُ أُجيبُ
وقلتُ لعرَّافِ اليَمامةِ داوِني ... فإنَّك إن داوَيْتَني لَطَبيبُ
وما بيَ من حُمَّى وما بيَ جِنَّةٌ ... ولكن عمِّي الحِميريَّ كَذوبُ
فواللهِ ما أنساكِ ما هبَّتِ الصَّبا ... وما أَعْقَبَتْها في الرياحِ جَنوبُ

وانصرف عروةُ إلى أهلِهِ باكياً والِهاً، فنَحِلَ ولم يَبْقَ منه شيءٌ، فقال بعضُ الناسِ: هو مسحورٌ، وقال بعضُهم: هو مجنون، وقال آخرون: مُوَسْوس.

وكان باليَمامة طبيبٌ له تابعٌ من الجنِّ يَأتيه، وكان أطبَّ الناسِ، فقالوا: لو خَرجتُم إليه، فخرجوا به إليه، فجعل يَزداد سُقْماً، فقال له عروةُ: يا هَناه، هل عندكَ للحبِّ دواءٌ أو رُقْيَةٌ؟ فقال: لا واللهِ، فانصرفوا من عنده، ومرُّوا بطبيب بحَجْر بنَجْدٍ، فصَنع به مثلَ ذلك، فلم يَنجح، فقال له عُروةُ: والله ما دَوائي إلا عند شَخْصٍ بالبَلْقاء فهي دائي ودوائي، فانصرفوا به، فأنشأ يقول عند انصِرافهم به من عند الطّبيبِ: [من الطويل]

جعلتُ لعرَّافِ اليمامةِ حُكْمَهُ ... وعرَّافِ نَجْدٍ إنْ هُما شَفَياني
فقالا نعم نَشْفي من الدّاءِ كلِّه ... وقاما مع العُوَّادِ يَبْتَدِراني
فما تَركا من رُقْيةٍ يَعلمانِها ... ولا سَلْوَةٍ إلّا وقد سَقَياني

= وجمهرة أنساب العرب ٣١٥، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٢٢٥ و٢٢٦: بن عبد بن كبير بن عذرة.

فـقـالا شَـفـاك اللهُ واللهِ مـا لـنـا بـمـا ضُـمِّـنَـتْ مـنـك الـضُّـلـوعُ يَـدانِ

قال: فلما قَدِم على أهلهِ ـ وكان له والدةٌ وخالةٌ وأربعُ أخواتٍ ـ فمرَّضْنَهُ دَهراً، فقال لهنَّ يوماً: لو نظرتُ إلى عَفراءَ نَظرةً ذهبَ وجعي، فذهبوا حتى نَزلوا البَلقاءَ مُسْتَخْفِين، وكان لا يَزالُ يَنظُرُ إلى عَفراءَ ويُلِمُّ بها، وكانت عند رجلٍ كريمٍ كثيرِ المال والغاشية.

فبينما عُروةُ يوماً بسُوقِ البَلقاء لَقِيه رجلٌ من عُذْرَةَ، فسأله عن حالهِ ومَقْدَمِهِ فأخبره، فجاء العُذْريُّ إلى زَوج عَفْراء، فقال له: متى قَدِم هذا الكلبُ الذي قد فَضَحكم؟ فقال زوجُ عَفراء: أيُّ كَلبٍ هو؟ قال: عُروةُ، [قال:] وقد قَدِم؟ [قال: نعم]، قال: أنتَ أولى بها [منه] أن تكون كلباً، والله ما علمتُ بقُدومهِ، ولو علمتُ لضَمَمْتُه إليَّ.

فلما أصبح غَدا يَستدلُّ عليه حتى عَرفَ مَوضعه، فجاءه فقال: قَدِمتَ هذا البلدَ ولم تَنزِل بنا؟ ولم نَرَ مَن يُعْلِمنُا بمكانكَ فيكون منزلُكَ عندنا؟ عليَّ وعَليَّ إن كان لك مَنزلٌ إلا عندي. قال: نعم، نتحوَّلُ إليك الليلةَ أو في غَدٍ، فلما ولَّى قال عروةُ لأهله: قد كان ما تَرَوْنَ، وإن أنتم لم تخرجوا معي، لأركبَنَّ رأسي، فارتَحلوا معه، ونُكِسَ عُرْوَةُ فلم يَزَلْ مُدْنَفاً حتى نزلوا بوادي القُرى[1].

وفي روايةٍ أُخرى أن حِزاماً هلك، وترك ابنَه عُروةَ صغيراً في حِجْرِ عمِّه عِقال بن مُهاصِر، وكانت عفراءُ تِرْباً لعُروَةَ يَلعبانِ جميعاً ويكونان معاً، حتى أَلِفَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه إلْفاً شديداً، وكان عِقال يقول لعُروة: أَبشِرْ، فإنَّ عفراءَ امرأتُك إن شاءَ الله؛ لما يَرى من إلْفِهِما، فكانا كذلك حتى بَلغا، فشكا عُروةُ إلى عَمّته هند بنت مُهاصر ما يَجِدُ من حبِّ عفراءَ، وطلب نَجازَ وَعْدِ عمِّه، فجاءت هندُ إلى أخيها عِقال وقالت: قد أتيتُك في حاجةٍ أُحبُّ أن تُحْسِنَ قضاءَها، وإنَّ الله يؤجرك على صلة رحمكَ، فقال: اسألي، قالت: تُزوِّج عروة ابنَ أخيك عفراء، فقال: ما عنه مَذْهَبٌ، ولا بنا عنه رَغْبَةٌ، ولكنَّه ليس بذي مال، وليست عليه عجَلَةٌ.

وكانت أُمُّها لا تُريدُ إلّا ذا مال، وعَلِمَ عروةُ أن رَجُلاً ذا مالٍ خَطبها، فجاء إلى

(١) من قوله: فأخبرنا عبد الوهاب بإسناده... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

عمِّه وقال: يا عمّ، اتَّقِ الله فيَّ، وقد عرفتَ قَرابتي ورَحِمي، فإن زوَّجتَها غيري قَتلتَني وسَفَكْتَ دَمي، فأَنشُدُك الله ورَحِمي، فرقَّ له وقال: يا بُنيَّ، أنت مُعْدَم، وقد أبَتْ أُمُّها أن تُخْرِجَها إلّا بمَهْرٍ غالٍ، فاذهب فاستَرزِق الله في البلادِ واكتَسِبْ، فجاء إلى أُمِّها ولاطفَها وسألَها، فأبتْ إلّا بما تَحتكمُ من المهر، فعَزم على قَصْدِ ابنِ عم له باليمن مُوسِرٍ، فأَخبر عمَّه وامرأتَه بذلك، وأخذ عليهما العُهودَ أنهما لا يُحْدِثا حَدَثاً حتى يعود، وسافر، فلما قَدِمَ على ابن عمِّه عرَّفه حاله، فوَصله وكساه، وأعطاه مئةً من الإبلِ، فانصرف بها.

وكان قد نزل حيَّ عفراء رجلٌ من أهلِ الشامِ مُوسِرٌ، فرأى عَفراء فأعجبَتْه، فخطبها إلى أبيها، فاعتذر وقال: قد سمَّيتُها على ابنِ أخي، فأرغبه في المالِ فقال: لا حاجَةَ لي فيه، فعَدَل إلى أُمِّها، وأرغَبها بالمال فأجابَتْه، وقالت لزوجِها: أيُّ خيرٍ في عُروة حتى تَحبِسَ بنتي عليه؟ واللهِ ما نَدري أحيٌّ هو أم ميِّت؟ وهل يَنقلبُ إلينا بخيرٍ أم لا؟ ولم تزل به حتى أجاب، وزوَّجه إيّاها، وحوَّلها إليه، فقالت عفراءُ عند ذلك: [من مجزوء الكامل]

يـا عُـرْوَ إن الـحـيَّ قـد نَـقـضـوا عَـهْـدَ الإلـه وحـاولـوا الـغَـدْرا

ودخل بها الرجلُ، وأقام عندهم ثلاثاً ثم ارتحل إلى الشامِ.

وعمد أبوها إلى قبرٍ عَتيقٍ، فجدَّده وسوَّاه، وسأل الحيَّ كِتمانَ أمرِها.

وقَدِم عروةُ بعد أيام، فنعاها أبوها إليه، وذهب إلى ذلك القبرِ، وكان يَختلفُ إليه أياماً حتى أخبرته جارِيةٌ من الحيِّ الخبرَ، فخرج إلى الشامِ، فنزل على زوجِها وهو لا يعرِفُه، فأكرمه وأحسنَ إليه، فقال عروةُ لجاريةٍ لهم: هل لكِ في يَدٍ تُولينيها؟ قالت: وما هي؟ قال: تَدفعين خاتَمي هذا إلى عَفراء، فقالت: سَوْءةً لك، أما تَستحي من هذا القولِ؟ فأمسك عنها، ثم خاطبها مراراً وهي تَردُّ عليه، فقال: وَيحك، والله إنَّها ابنةُ عمي، فاطرحي هذا الخاتَمَ في صَبوحِها، فإن أنكَرَتْ عليك، فقولي: اصطَبَح ضَيْفُنا قبلَكِ، ولعلَّه سَقط منه، فرقَّت له الأَمَةُ وفعلت، فلما رأتْ عَفراءُ الخاتَمَ عَرفَتْه فقالت: اصدُقيني، فأخبرَتْها.

فلما جاء زوجُها قالت له: هل تَدْري مَن ضَيْفُكَ؟ قال: لا. قالت: إنَّه عُرْوَةُ، وقد

كَتَمَ نَفسَه حياءً منك، فبعث إليه ودعاه، وعاتَبه على كِتمانهِ نَفسَهُ وقال له: بالرَّحْبِ والسَّعَةِ، نَشدتُك الله إن رُمْتَ هذا المكان أبداً.

وخرج وتركه مع عفراء يتحدَّثان، وأوصى خادماً له بالاستماعِ عليهما، وإعادةِ ما يَسمعُه منهما.

فلما خليا تشاكيا ما وَجَدا بعد الفِراقِ، وطالتِ الشّكوى وهو يَبكي أحرَّ بكاءٍ، ثم أَتَتْه بشرابٍ، وسألته أن يَشربَه فقال: واللهِ ما دخل جوفي حرامٌ قَطّ، ولا ارتكبتُه منذ كنتُ طِفلاً، ولو استحللتُ حراماً لكنتُ استَحللتُه منكِ، وأنتِ حَظّي من الدنيا، وقد ذهبتِ مني وذهبتُ منك، وما أعيشُ بعدكِ، وقد أجمل هذا الرجلُ الكريمُ وأحسنَ، واللهِ إني لمسْتَحي منه، ووالله إني لا أُقيمُ بعد علمه بمكاني، وإني أعلمُ أني راحلٌ إلى مَنيَّتي، وبكت وبكى وانصرف.

فلما جاء زوجُها أخبره الخادم بما جرى بينهما، فدعاه وقال: يا أخي، اتَّقِ الله في نَفسك، فقد عرفتُ خبركَ، وإنَّك إن رحلتَ تَلِفْتَ، ووالله ما أَمنَعُكَ من الاجتماعِ بها أبداً، وإن شئتَ نزلتُ لك عنها، وقال: يا عفراءُ، امنَعي ابنَ عمكِ من الخروجِ، فقالت: هو والله أكرمُ وأشدُّ حياءً من أن يُقيمَ بعدما قد علمتَ به.

وقال عروةُ: جُزِيتَ خيراً، ووُقيتَ شَرّاً، ولابُدَّ من الرجوعِ إلى أهلي، وإن عِشْتُ، رَجَعْتُ إليكم، فأعطته عفراءُ خِمارَها، وزوَّده زوجُها، وخرج، فكان كلما غُشي عليه أُلقي الخِمارَ على وَجهه [فيفيق]، فبينما هو يسيرُ لقيه ابنُ مَكحول عَرّافُ اليمامةِ، فسأله عمّا به، وهل به خَبَلٌ؟ فقال: [من الطويل]:

وما بي من خَبْلٍ وما بي جِنَّةٌ ... ولكنَّ عمّي يا أُخيَّ كَذوبُ
أرى كَبدي أمستْ رُفاتاً كأنَّما ... يُلَذِّعُها بالموقِداتِ لَهيبُ
عشيَّةَ لا عَفراءُ منك بَعيدةٌ ... فتَسلو ولا عَفْراءُ منك قَريبُ
وأَصدِفُ عن رأيي الذي كنتُ أرتئي ... وأَنسى الذي أَزمعتُ حين تَغيبُ
ويُظهرُ قلبي عُذرَها ويُعينها ... عليَّ فمالي في الفؤاد نصيبُ
وقد علمتْ نفسي مكانَ شِفائها ... قريباً وهل ما لا يُنالُ قَريبُ
حلفتُ بربِّ السّاجدِين لربِّهم ... خُشوعاً وربُّ الساجِدِين رَقيبُ

لئن كان بردُ الماءِ حَرّانَ صادياً إليَّ حَبيباً إنَّها لَحبيبُ[1]

وقد ذكر أبو الفَرج الأصفهاني بمعناه وقال: وهو أحدُ المُتَيَّمِين الذين قَتلهم الهوى، ولا يُعْرَف له شعرٌ إلا في ابنةِ عمّه عَفراء، ومازال به الحبُّ حتى مات.

وقال ابن الكلبي: كان إذا اشتد به الهيامُ أَلصق خَدَّه بحِياضِ النَّعَمِ التي كانت تَرِدُ عليها إبلُ عفراءَ، فقيل له: ارفُق بنفسكَ، فقال: [من الطويل]

بي اليأسُ أو داءُ الهُيامِ أصابَني فإياكَ عني لا يكنْ بك ما بيا
فما زادَني النَّاهونَ إلا صَبابَةً ولا كثرةُ الواشين إلا تمادِيا

واختلفوا في وفاته، ذكر هشام بن الكلبي عن أبيه قال: لمّا عاد عروةُ من البَلقاءِ إلى أهلهِ وقد ضَنِيَ، وكان له أخَواتٌ وخالة قد كانوا يُعلِّلونه، و هو لا يَزدادُ[2] إلا سُقْماً حتى مات.

وأنبأنا غيرُ واحدٍ عن أبي الفضلِ محمد بن ناصرٍ بإسناده، عن النعمان بن بشير قال: استعملني عمر بن الخطاب ـ أو عثمان بن عفّان، شكَّ الهيثم ـ على صدقات سعد بن هُذَيْم وهم: عُذْرةَ، وسلامان، والحارث، وهم من قُضاعة، فلما قَبضتُ الصَّدقةَ وقَسمتُها بين أهلها، وأقبلتُ بالسَّهْمَيْنِ الباقِيَيْن إلى عمر أو عثمان، فلما كنتُ ببلادِ عُذرةَ في حيٍّ يقال له: حيُّ بني هند، إذا ببيتٍ خارجٍ عن الحيِّ، فملتُ إليه، وإذا بعجوزٍ جالسةٍ عند كسْرِ البيتِ، وإذا شابٌّ نائم في ظلِّ البيتِ، فسلَّمتُ عليه، فترنَّم بصَوتٍ له ضَعيفٍ، وقال:

جعلتُ لعرَّافِ اليَمامةِ حُكْمَهُ وعرَّافِ نَجْدٍ إنْ هُما شَفَياني

فذكر الأبيات، ثم شَهق شَهقةً خفيفةً، فإذا به قد مات، فقلتُ للعجوزِ: ما أظنُّ هذا النائمَ بفِناء بيتكِ إلا قد مات، فقامت فنظرتْ إليه وقالت: فاض وربِّ محمدٍ، فقُلتُ: يا أمةَ اللهِ، مَن هذا؟ قالت: عروةُ بن حِزامٍ العُذرِيُّ، وأنا أُمُّه، قلتُ: فما صيَّره إلى هذا؟ قالت: العِشقُ، ووالله ما سمعتُ له أنَّةً منذ سنةٍ إلّا في صَدره، وفي يومنا هذا

(١) المنتظم ٤/ ٣٥٤ـ٣٥٧ ، وذم الهوى ٤١٠ـ٤١١ .

(٢) في (خ) و(ع): وكان له أهل فما زلن يعللنه وهو يزداد سقماً.

سمعتُه يقول: [من البسيط]

مَن كان من أُمّهاتي باكياً أبداً ... فاليومَ إني أُراني اليوم مَقبُوضا
يُسْمِعْنَنِيهِ فإنّي غيرُ سامعِه ... إذا علوتُ رقابَ القومِ مَعروضاً

قال النعمان: فأقمتُ والله حتى غُسِّلَ وكُفِّنَ وحُنّطَ، وصُلِّيَ عليه ودُفِنَ، قال: فقلتُ للنعمانِ: ما دعاكَ إلى ذلك؟ قال: احتسابُ الأجرِ فيه.

وذكر أبو بكرٍ بن داود في كتاب «الزهرة» أن عروةَ لمّا مات مرَّ به رَكْبٌ فعرفوه، فلما انتهَوْا إلى منزلِ عَفراءَ صاحَ بعضُهم وقال: [من الطويل]

ألا أيُّها الميتُ المحجَّبُ أهلُه[1] ... بحقٍّ نَعَيْنا عُروةَ بنَ حِزامِ

فأجابتْه عفراءُ وقالت:

ألا أيُّها الرَّكْبُ المُخِبّونَ وَيحكم ... بحقٍّ نَعيتُم عُروةَ بن حِزامِ

فأجابها بعضهم وقال:

نعم قد تَركناه بأرضٍ بعيدةٍ ... مقيماً بها في دَكْدَكٍ ورُخامِ

فقالت:

فإن كان حقّاً ما تقولون فاعلموا ... بأنْ قد نَعيتُم بَدْرَ كلِّ تَمامِ
فلا لَقيَ الرّكبانُ بعدك لَذَّةً ... ولا رَجعوا من غَيْبةٍ بِسَلامِ
ولا وَضَعتْ أُنثى تماماً بمِثْلِهِ ... ولا فَرِحَتْ من بعدهِ بغُلامِ
ولا لا بلغتُم حيث وُجِّهْتُمُ له ... ونُغِّصْتُمُ لذّاتِ كلِّ طَعامِ

ثم قالت: فأين دُفِنَ؟ فأخبروها، فسارت إلى قبرِه، فلما قَرُبت من قبرهِ قالت: إني أُريد قضاءَ حاجةٍ، فأنزلوها، فانسَلَّت إلى قبرِه، فانكبَّت عليه، فما راعهم إلا صوتُها، فلما سمعوها بادروا إليها، فإذا هي ممدودةٌ على القبرِ، قد خرجت نفسُها، فدفنوها إلى جانبِهِ.

وروى أبو بكرٍ الخطيبُ بإسنادهِ عن معاذ بن يحيى الصَّنعاني قال: خرجتُ من مكة أُريد صنعاءَ، فلما كان بيننا وبينها خمساً رأيتُ الناسَ يَنزلون عن مَحامِلهم، ويَركبونَ

(١) في (ك): ألا أيها الحي المعطل أهله، وفي الزهرة ١/ ٤٨٠، وتاريخ دمشق ٢٥١ (تراجم النساء)، وذم الهوى ٤١٧، والمنتظم ٤/ ٣٥٨: ألا أيها القصر المغفّل أهلُه.

دوابّهم، فقلتُ: أين تُريدون؟ قالوا: نُريدُ أن ننظرَ إلى قبر عُروة وعفراء، فنزلتُ عن مَحملي وركبتُ حِماري، واتَّصلتُ بهم، فانتهيتُ إلى قبرَيْنِ مُتلاصِقَيْنِ، وقد خَرَج من هذا القبرِ ساقُ شجرة، ومن هذا ساقُ شجرة، حتى إذا صارا على قامةٍ التقيا، وكان الناسُ يقولون: تآلفا في الحياةِ وفي الموتِ.

ورُوِي أن هذه القصَّة كانت في زمنِ عمر بن الخطاب، وقال عمر: لو أدركتُ عُروةَ وعفراء لجمعتُ بينهما.

وروي عن مُعاوية أنه قال: لو علمتُ بهذين الشريفَيْنِ لجَمعتُ بينهما[1].

وروي[2] أن عروة مات بعرفات، فذكر محمد بن حبيب الهاشمي، عن هشام بن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عباسٍ، قال أبو صالح: كنتُ مع ابن عباسٍ في عرفاتٍ، فأتاه فِتْيانٌ يَحملون فتىً لم يَبقَ منه إلّا خيالُه، فقالوا: يا ابنَ عمِّ رسولِ الله، ادْعُ الله لهذا الفتى، فقال: وما الذي به؟ فقال الفتى: [من الطويل]:

بنا من جَوى الأحزانِ والحبِّ لَوعةٌ تكادُ لها نَفْسُ الشَّفيق تَذوبُ
ولكنَّما أبقى حُشاشةَ مُعْوِلٍ على ما بهِ عُودٌ هناك صَليبُ

ثم خَفَتَ على أيديهم فمات، فقال ابن عباس: قَتيلُ الحبِّ لا قَودَ فيه ولا دِيَة، ثم سأل الفِتيان عنه فقالوا: هذا عُروةُ بن حِزام العُذري، ثم كان ابن عباسٍ يَسأل الله العافية بعد ذلك.

وقال أبو سعيد النُّميري[3]: لقي مجنونُ ليلى الأَحْوصَ بنَ محمد الأنصاري، فقال له: حدِّثني حديثَ عُروةَ، فحدَّثه، فلما فَرَغَ قال المجنون: [من الوافر]:

عَجبتُ لعُروةَ العُذْريِّ أمسى أحاديثاً لقومٍ بعد قَوْمِ
وعُروةُ مات مَوتاً مُسْتَرِيحاً وها أنا ذا أموتُ بكلِّ يومِ

انتهى حديث عروة بن حزام.

---

(١) المنتظم ٤/ ٣٥٩ ، وذم الهوى ٤١٧ـ٤١٨ .

(٢) من هنا إلى نهاية ترجمته ليس في (خ) و(ع)، والخبر في الأغاني ٢٤/ ١٦٥ـ١٦٦ .

(٣) في مصارع العشاق ٢/ ٧٥ ، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٢٣٥ : أبو معاذ النميري.

فصل وفيها تُوفّي

عُمير بن وَهب

ابن خَلَف بن وَهب بن حُذافة السَّهْمي، كان قد شهد بدراً مع الكفار، وبعثوه طَليعةً ليَحْزُرَ لهم الصحابةَ ففعل، وأُسِرَ ابنُه وهب بن عُمَيْرٍ، أسره رِفاعةُ بن رافعٍ، فلما قدم عُمير مكة جلس في الحِجْرِ وقال: لولا عيالي ودَيْني لاغتلتُ محمّداً وقتلتُه، فقال له صفوانُ بن أُمية: عليَّ دَيْنُك، وعِيالُكَ عِيالي.

فخرج إلى المدينةِ، فدخل على رسول الله ﷺ فقال: ما الذي أَقْدَمَك؟ قال: قَدِمتُ في فكاكِ ابني، فقال له رسولُ الله ﷺ: كُنْتَ قاعِداً في الحِجْرِ، وقلتَ لصفوان كذا، وقال لك كذا، فقال: واللهِ ما كان معنا ثالث، فأشهدُ أن لا إله إلا الله، وأنَّك رسولُه[1]، وأسلم وحَسُنَ إسلامُه، وشَهِد أُحُداً مع رسولِ الله ﷺ، وقد ذكرنا قِصّته مع صفوان بن أُمية عقيب غزاة بدر، وبقي إلى هذه السنةِ، فتوفّي بالمدينةِ، وليس له رواية، رحمه الله. انتهت ترجمته[2].

قُطبة بن عامر

ابن حَديدة بن عمرو بن سواد الأنصاري، من الطبقة الأولى من الأنصار، وكُنيته أبو زيد، من الستة الذين أَتَوا رسول الله ﷺ بمكة فأسلموا قبل الناس.

شهد العَقَبَتَيْن وبدراً وأُحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وكان من الرُّماة المشهورين المذكورين، وجُرح يوم أُحد تسعَ جِراحات، وكانت معه يوم الفتح راية بني سلمة من الأنصار، وألقى يوم بدر حَجَراً بين الصَّفَّين وقال: لا أَفِرُّ حتى يفرّ هذا الحَجَر، وبعثه رسول الله ﷺ إلى تَبَالَة إلى حيٍّ من خَثْعَم، فاستاق الغنم وسبى، سنةَ سبعٍ من الهجرة، وليس له عَقِبٌ، والعقب من أخيه لأبويه:

---

(١) من قوله: أسره رفاعة بن رافع... إلى هنا ليس في (خ) و(ع).

(٢) انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٤/ ١٨٦ ، والاستيعاب (١٧١٥)، والتبيين ٤٥٠ ، والمنتظم ٤/ ٣٥١ ، والإصابة ٣/ ٣٦ .

يزيد بن عامر بن حديدة

وكنيته أبو المنذر، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار، شهد بدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها، وكان له من الولد عبد الرحمن والمنذر، ومن ولده الإمام أبو العباس أحمد النّاصري رحمه الله[1].

❁ ❁ ❁ ❁

(١) انظر في ترجمتهما طبقات ابن سعد ٣/ ٥٣٥ـ٥٣٦ ، والاستيعاب (٢١٤٨) و(٢٧٣٢)، والاستبصار ١٦٣، والإصابة ٣/ ٢٣٧ ، ٦٥٩ ، وتاريخ دمشق ٥٩/ ٤٠ ، وترجمة قطبة ويزيد ليستا في (ك).

obeikandl.com